

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قسنطينة

كلية الآداب و الحضارة الإسلامية

قسم اللغة العربية

دروس موجهة للسنة الثالثة أدب عربي

مقياس النص الشعري المغربي (محاضرة+أعمال موجهة)

السداسي السادس

إعداد :د/برقلاح إيمان

السنة الجامعية:2019/2020 م

المحاضرة الخامسة

الشعر الموريتاني(القضايا و الاتجاهات)

عرف الشعر الموريتاني نضجه منذ أواسط القرن 11 هـ، و قد شكلت النزعة الجاهلية ملمحا عاما من ملامحه، و يرجع ذلك إلى خلفية الشاعر اللغوية ، كما كان للبيئة دورها في تنمية هذا المنحى الجاهلي في الشعر الموريتاني.

فليس على الشاعر إذا أراد أن يكتب قصيدة إلا أن يصبها في إحدى قوالب القصائد الجاهلية، التي يستظهرها تبعا للغرض الذي يريد غزلا كان أم مدحا، فخرا كان أم هجاء، أما الشعر التعليمي فحسب المناسبة والمقام ، و كذلك الإخوانيات التي تكون مزاحا أو مجاملة، فهيكل القصيدة تقليدي يتبع الفقرات المعهودة و الاستطرادات المألوفة، و قد تختتم القصيدة بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ،ومن هؤلاء :مولود بن أحمد الجواد اليعقوبي¹.

و يمكن القول إن العدول عن هذا المسار الشعري لم يظهر إلا بعد الاستقلال ،حيث ظهرت تجارب فنية تأسيسية أراد أصحابها بناء مشهد ثقافي راسخ يتماشى و أصالة البلاد و هويتها من جهة، و منفتح على مستجدات العصر و مظاهر التحديث من جهة أخرى، فكان الأدب محملا بالهموم و الهواجس التي أرهقت عامة الشعب و خاصة الطبقة المثقفة ، التي عملت السلطة على استبعادها و إخماد صوتها، كما حاولت أن تجهض أي حلم يهدد وجودها، و يزرع مكانتها، فاضطهدت المعارضين خاصة من أبناء التيار الاشتراكي و غيرهم من تيارات المعارضة .

¹ شاعر موريتاني، وولد 1170 هـ وتوفي 1243 هـ عن عمر ناهز 73 عاما عالم جليل، وإمام من أئمة اللغة والشعر في البلاد، شديد في الدين قوي العريضة سريع البديهة، عميق العلم، له قصائد طويلة النفس وكان مداحا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتدل مؤلفاته على أنه لا يبارى، وهي متنوعة منها: شرح ألفية ابن مالك. نظم تنقيح القرافي وشرحه، شرح الكوكب الساطع للسيوطي، سقاية المختل في عين ثلاثي الفعل ،ديوان شعر من الحجم الكبير.

و ردا على هذه السلطة القمعية لكل ما هو ثقافي توعوي صدحت أشعار :أحمد ولد عبد القادر² و ناجي محمد الإمام³ ،و الخليل النحوي⁴،و غيرهم.

و بالفعل بدأت مع الستينات بشائر نقلة أدبية جديدة،لا تقتصر على الشعر فقط،و إنما تتعداه إلى ممارسة كتابة القصة القصيرة و المسرحية و الرواية،و أخذ الشعر يتلون بلون الحياة السياسية و الاجتماعية و يساير الأحداث القومية و الوطنية،و يحاذي التيارات الأدبية خصوصا التيار الرومانسي،و التيارين الواقعي و الرمزي،مما مهد لظهور الشكل الشعري الجديد،فكان التأثير المضموني أسبق إلى القصيدة الموريتانية من التأثير الشكلي. فظهرت قصائد تقترب من أشعار المهجريين،و تقوم على الشكل الموشح كقصيدة "فان توم للخليل النحوي،كما ظهر ميل إلى البحور المجزوءة و القصيرة كقصيدة"رسالة العجوز"لأحمد ولد عبد القادر،و قصيدة "أيار"لمحمد ولد إشدو.

و لم تظهر البدايات المحتشمة للقصيدة الحرة إلا في أوائل السبعينات،لكنها مرت بهدوء دون أن تثير الاهتمام،و على الرغم من سيطرة الطائفة التقليدية على العملية الإبداعية الموريتانية،فإن اتساعا صامتا لدائرة الشعر الحديث و المهتمين به كان يحدث،نتيجة تدريس المناهج الأدبية الحديثة في الجامعات و انفتاح جيل الشعراء الشباب على نتاج نظرائهم العرب و تعرف البعثات الطلابية إلى الجامعات العربية على الشعر الجديد،كل هذه الأسباب دفعت هؤلاء إلى المزاحمة العننية للشعر التقليدي و حراسه.

و بهذا قامت معركة الشعر الجديد بمحاولة خلق ذائقة غير تقليدية،قادرة على فهم حركة الزمن والإبداع،متدثرة بثقافة جديدة،تمكنا من التعامل مع الرموز الشعرية وما تحيل إليه من دلالات. وهي محاولة جسورة في ميدان يسيطر عليه المحافظون بشعرهم وبخلفيتهم

²شاعر موريتاني ولد عام 1941 في بادية الجنوب الغربي الموريتاني في مضارب قبيلة الحسينيين المشهورين بتعاطي

الشعر وعلوم اللغة العربية والشريعة،من دواوينه الشعرية :أصداء الرمال(1981)،و كوابيس(2000)

³ شاعر موريتاني كبير يلقب بـ **بمنتبي شنقيط**،ولد سنة 1956م،له ديوان "التيه والبحر و الذاكرة" .

⁴ هو الخليل بن محمد النحوي،ولد سنة 1374 هـ/1955 م بالركيز موريتانيا،أستاذ جامعي،باحث متخصص في علوم اللغة والدين والتربية والتاريخ،شاعر وكاتب.

التراثية،التي سيّجت الإبداع بمتاريس من التقديس،تجعل تجاوزه مسألة في غاية الصعوبة. والحقيقة أن اعتماد وسيط أو رقيب تقليدي بين الشاعر و المتلقي،هو السبب في إحداث الهوة بين الواقع والإبداع؛ذلك أن الرقيب التقليدي المحافظ يسعى إلى فرض قوالب نصية،ومعجم لغوي خاص، بحيث يرى أي خروج عليه كفرًا إبداعياً وعقوفاً ظاهراً،وهذه الوصاية هي السبب في انفجار الثورة، من طرف بعض الشعراء الذين عرفوا بالولاء للقالب التقليدي نفسه .فهؤلاء الشعراء لا يرون المشكلة بين دعاة التجديد والمحافظين مشكلة شكلية،إنما هي لغوية،تعبيرية.

فآراء المؤيدين للحدثة تنبثق أساسا من الفهم الفني للنص الشعري الحديث في مسايرة للظرف الزمني للإنسان الموريتاني و علاقته بالآخر شكلا و مضمونا،لهذا تعد الحدثة عندهم محاولة لفتح حصون التراث أمام الحدثة ليكون هناك تكامل بين الأصالة و المعاصرة،و هذا ما جعل بعض الحدائين الموريتانيين يستخدمون الشكل التقليدي للقصيدة،ليبدعوا من خلاله نصا حدثيا موعلا في التكتيف و التفجير الدلالي .

ونتيجة لهذا تأكد ارتباط النص الحدائي بأصله القديم،ولكن هذا الارتباط لم يكن عائقا في سبيل تغيير بعض الأشكال والمفاهيم التي تحققت على يد شعراء الحدثة،وهي تغييرات لا يستبعد أن تكون لها جذور في التراث،فالحدثة من هذا المنظور مرحلة تطويرية للشعر التقليدي، من حيث الإيقاع واللغة،وعلاقتها بشعر التقليد هي علاقة محاورة، فهي تنطلق من القديم لتتجاوزه،مع بقاء صلاتها به وثيقة.

الأعمال الموجهة

نماذج من الشعر الموريتاني:

تعد قصيدة الشاعر الموريتاني أحمد ولد عبد القادر المعروفة ب"في الجماهير" قصيدة توازي بين البكاء على ضحايا مجازر ارتكبتها الاحتلال في حق الشعب الفلسطيني، وبين الروح الثورية لشعب، قد صلبته المآسي صهرته الآلام والنكبات، حيث يقول :

في الجماهير تكمن المعجزات	***	ومن الظلم تولد الحريات
ومن الشعب في فلسطين قامت	***	ثورة الفتح يفتديها الأباة
مكثت في النفوس عشرين عاما	***	تتعاطى لهيبتها الكلمات
ثم صارت على صعيد الليالي	***	ضربات تشدها ضربات
ورصاصا يجول قصفا وضربا	***	وتلاشى النحيب والزفراة
دير ياسين) ما نسينا دمانا	***	في ربانا تدوسها النظرات
دير ياسين) ما نسينا عظاما	***	نسفتها الرياح و الهبوات
جرحتنا مخالب الدهر يوما	***	وتلاقى على ربانا الغزاة
واعتمدنا على سوانا زمانا	***	وألهتنا الدموع والحسرات
غير أنا قد انتفضنا وثرنا	***	ثورة لا تردها الفتكات
نحن شعب قد صلبته المآسي	***	سهرته الآلام والنكبات
نسكن النار لا نبالي لظاها	***	زادنا العزم والإبا والثبات
نتلقى الشهيد عزا ونصرا	***	والضحايا توديعهم حفلات
ونغني للموت بل ونراها	***	في سبيل الحياة هي الحياة
ونغني حتى الجراح تغني	***	في الجماهير تكمن المعجزات

من الظواهر التي تستوقف القارئ للشعر الموريتاني الحديث استمداد بعض القصائد لكثير من ألفاظ القرآن الكريم، ومن تلك القصائد قصائد الشاعر ناجي محمد الإمام، حيث يقول في قصيدة بعنوان "مقاطع من أغنية لسناك خيل شامت مرابطها":

غطش الليل إذا يغشى

ويركب موكبه الصافنات الجياد

ولوح تناغم فيه البيان

لمن عشق "النجم" أو "طارقا"

ويقول في قصيدة بعنوان "أبو الفلاشا":

وأذن في العير...أنكم

سارقون ..

وأنكم أيها التائهون النيام ..

تتيهون في الأرض عشرا ..

فهذه الأبيات توضح بجلاء اعتماد الشاعر محمد ناجي الإمام ألقاظاً من القرآن الكريم بصورة ملفتة للنظر، كما أنه يوجد ارتباط واضح بين تراكيبه وبين الأسلوب القرآني.

المحاضرة السادسة

الشعر الليبي (القضايا و الاتجاهات)

إن المتتبع لتاريخ الحركة الأدبية في ليبيا منذ الفترة التي اتفق على أنها البداية الفعلية للأدب الليبي الحديث، والتي يؤرخ لها بانتهاء حكم الأسرة القرمانلية لليبيا و بداية العهد العثماني الثاني، يلحظ أنها لا تختلف عن غيرها في الوطن العربي، إلا في بعض الخصوصيات التي تعود أصلاً لتكوينها حيث نشأت في أطر محدودة، على مستوى الأفراد و الأماكن، حيث كانت الزوايا الدينية، و المجالس الخاصة هي المنتدى أو الصالون الأدبي الذي يأتيه مريدوه، يقدمون من خلاله النتاج الأدبي و يتجادبون فيه الموضوعات المختلفة بالنقاش و النقد و التحليل .

فقد عايش الشعراء الرواد في ليبيا أحداث أواخر القرن التاسع عشر و بدايات القرن العشرين المتمثلة في الانتكاسات و الهزائم المتتالية في أطراف الإمبراطورية العثمانية، أمام تقدم الاستعمار الأوروبي الكاسح، كما عايشوا عصر النهضة العربية، و انبثاق حركات الإصلاح ثم حركات المقاومة ضد حملات الاستعمار الأوروبي الحديث، فكان لكل تلك العوامل أثر واضح في نتاجهم الشعري.

ففي مرحلة الإحياء شهدت الساحة الأدبية الليبية نبوغ عدد من الشعراء، و اكبوا بنتاجهم الشعري مرحلة الإحياء في الأقطار العربية، حيث كان بعضهم على صلة وثيقة برموز النهضة في مصر. و من هؤلاء الشعراء: مصطفى بن زكري، و أحمد الشارف، و سليمان الباروني، و أحمد قنابة و إبراهيم باكير الذين امتد عطاؤهم الشعري حتى منتصف القرن العشرين.

و يعد ديوان الشاعر مصطفى بن زكري⁵ الذي طبعه في مصر سنة 1892 م، أول ديوان شعري ليبي. جاءت معظم أبياته من شعر الغزل، منها :

⁵ مصطفى بن محمد بن إبراهيم بن زكري (1853-1917 م) ولد في طرابلس و فيها توفي، له ديوان شعري طبع بالمطبعة العثمانية بالقاهرة سنة 1892 م، و له قصائد نشرت في جريدة الترقى الطرابلسية أواخر القرن 19 م.

هواك قوت فؤادي *** و في يدك قيادي
فارحم بفضلك وجدني *** و حرقتي و سهادي
أذبت قلبي فهب لي *** قلبا لحفظ ودادي
أنا الغريب المعني *** في شيعتي و بلادي
أموت فيك اشتياقا *** إن طال عمر البعاد
و فيك داريت قوما *** لهم طباع الجماد

فمضمون هذه الأبيات يفصح عن طبيعة التناقض ،فالقوم الذين الشاعر من مواجهتهم لهم طباع الجماد أي أنهم لا يفعلون،و هو مضطر لمداراتهم لئلا يصطدم بصلادة ردودهم،و هذا ما يجعل ما يحمله في داخله يظل مطويا في عقله و في أحلامه و أشواقه،و رغم كل ذلك يظل بن زكري متصلا بقوة ليحقق انتماءه ،لأنه رغم شعوره بالغرابة إلا أنه بين شعبه و في بلاده.

ثم تلاه صدور ديوان المجاهد الكبير سليمان الباروني في سنة 1908 م،و يغلب عليه طابع النظم و المدائح و الاستبشار بصدور الدستور العثماني ،إضافة إلى الشعر الوطني.
ثم برز الشاعران أحمد الشارف و أحمد رفيق المهدي اللذان سارا في نفس الاتجاه الإحيائي،بشعرهما المفعم بالبعد الديني و الوطني و الاجتماعي،ومثال ذلك قصيدة أحمد الشارف "رضينا بحتف النفوس رضينا" التي قيلت في مطالع الجهاد ،منها هذه الأبيات:

رضينا بحتف النفوس رضينا *** ولم نرض أن يعرف الضيم فينا
ولم نرض بالعيش إلا عزيزاً *** ولا نتقي الشر بل يتقينا
فما الحر إلا الذي مات حراً *** ولم يرض بالعيش إلا أمينا
وما العز إلا لمن كان يفدي *** ذماما ويفني عليه الثمينا
ونحن فروع زكت من أصول *** فنحيي مآثرنا ما حيينا

فهذه الأبيات أشبه بالنشيد الذي ينتقل سريعا ليعبر عن روح جماعية، و عن المجاهدين ،كذلك ما قاله الشاعر أحمد رفيق المهدي في الشعر الاجتماعي خاصة تلك الأبيات التي قالها في مهاجمة قاض تغاضى عن رؤية هلال العيد :

أترى القاضي أعمى أم تراه يتعمى ***سرق العيد كأن العيد أموال اليتامى

و امتد الاتجاه الكلاسيكي للشعر في ليبيا بظهور جيل جديد ،يضم في الواقع تلاميذ تأثروا بأشعار الشارف و المهدي الكلاسيكية ،أمثال حسن السوسي ،و عبد ربه الغناني و رجب الماجري ،فكانوا في بداياتهم ملتزمين بالاتجاه الكلاسيكي ،لكن سرعان ما اتسع الأفق الثقافي لديهم لينفتحوا على عصر الحداثة و قصيدة التفعيلة ،و لعل أولهم الشاعر رجب الماجري ،الذي تنسب إليه أول قصيدة ليبية من الشعر الحر كتبها سنة 1953 م .

خلاصة القول أن شعراء ليبيا ينقسمون إلى قسمين :قسم الشيوخ الكلاسيكيين الإحيائيين ،و قسم الشبان فإذا كان الرواد الشيوخ نظموا على منهج القصيدة التقليدية و حاولوا الرقي بها من حضيض الركافة و الزخارف اللفظية ،فإن جيل الشبان ما لبث أن شرب من ثقافات عصره الحداثية ،فانفتح على شعر التفعيلة ،و تفاعل مع رومانسيات معاصريه الذين تأثروا بالانفتاح الثقافي على الغرب ،و بشعارات المهجر .

الأعمال الموجهة

نماذج من الشعر الليبي:

ينبّه الشاعر أحمد رفيق المهدي⁶ الشعب إلى الدسائس التي يحوكها الحزبيون ومدعو
الوطنية، يوحى نذره من التقرب فـي حقوقه:

ألفوا الكرى واستعذبوا الأحلاما *** حرّك لعلك توقظ النواما

يا ويح هذا الشعب طال رقاداه *** فمتى يهب من الرقاد قياما

ومتى يفتّح عينه متنبها *** لخزعبلات الفاسدين نماما

المدعين بباطل وطنية *** راحوا بها يتصيدون مراما

يا أيها المتزعمون وما لكم *** حق يخولكم لذاك مقاما

لستم بأهل أن تسوسوا أمة *** لم ترضكم لأمرها قواما

للشعب في هذا الزمان إرادة *** تملّي الحقوق وتصدر الأحكاما

عصفت بسيطرة الملوك ولم تدع *** لتحكم المتجبرين دواما

صارت أمور الناس شورى بينهم *** لا يملك الباغي لهم إرغاما

في سيرة الدوتشي وهتلر عبرة *** لمن استبد وسفّه الأحلاما

وإذا استبد الفرد بين جماعة *** كانوا وإن سعدوا به أنعاما

و تعد هذه القصيدة بصياغتها المحكمة وقوة العاطفة التي تسري في أوصالها من بين

أقوى قصائد الشعر السياسي في ليبيا وفي غيرها، وهي توحى بما كان للمهدي من وعي

سياسي ناضج، ومن الواضح أن الشاعر قد اعتنى بها وأولاها أهمية فهو لم يستخدم فيها

كما فعل في عدد كبير من قصائده الألفاظ العامية والدخيلة وأقوال العوام وبنفس هذه القوة

يتفاعل المهدي مع الأحداث السياسية في ليبيا وفي خارجها.

⁶أحمد رفيق المهدي (1898-1961م) من شعراء المرحلة الإحيائية في ليبيا، وهو رائد الشعر الليبي الحديث، وشاعر

القضايا الكبرى، والمعبر عن عصره وهموم شعبه.

وهذه قصيدة " أحن إليك " للشاعر علي الرقيعي من ديوانه "أشواق صغيرة"⁷ يناجي فيها ليبيا قائلاً:

أحن إليك

أحس بأنك في نداء يقول " تعال "

يقص علي حكايا، يوشوش في أذني عن ليال

نسينا عليها الزمان

عبرنا جدار المحال

نداء يعاتبني في انفعال

يجدف بي في شفيف المسافات عبر الخيال

بغير تخوم،

بغير وصول.

بغير نوال.

أحس به ملء ذاتي يقول " تعال "

أنا لا أبالي إذا أنت لي ما الهدى، ما الضلال

وما قد يصير وما قد يقال

أنا لا أبالي فحسبي أنام بدنيا عيونك

وحسبي جفونك

تدثرني بالضلال

أحبك حتى ليخضر تحت خطاي الثرى

وحتى كأن الذرى

تطيح على كتفي لآل

وأنت إذا لم تهزي كياني ذات زوال

تدفاً بالقلق الحلو ملء وجودي وسال

⁷علي الرقيعي (1934-1966م) من رواد الشعر الحديث في ليبيا، توصف تجربته الشعرية رغم قصرها بأنها أحدثت فارقاً مهماً في العمل الأدبي الليبي، و أول ديوان للرقيعي ،كان بعنوان "الحنين الظامئ" الذي صدر عام 1957، ثم "أشواق صغيرة" عام 1966

على كرب حنون تخطى السماء واستحال
مخدة حب،

وصرة خبز،

وجرة آل.

تراني ماذا أنا الآن... ماذا أصير

وهل ما أزال

أذردر للشعر عمري وأعبد فيك الجمال

أحبك سرا شفيف التلغع فوق ادعاء الخيال

دفيئا كصفو الظلال

عميقا أغمس فيه كياني وكل وجودي

أغمس فيه حدودي

أحبك كنهار بعيد المسافات ... دنيا سدى لا تحد

أنا في مفاتها الخضر أشدو

لي الشعر، أسكبه من جفون الذراري حكايا

وفيها غدي يتكشف حلو الضياء ويبدو

سدى يعرف اليأس دربا إليها

سدى يتعالى عليها

أحن إليك وفي خاطري ألف رؤيا

سأسردها مرة في الليالي عليك

إذا ما رجعت إليك.

المحاضرة السابعة

إشكالية الهوية والابداع (الوطن - اللغة - المكان)

تميز النتاج الشعري المغربي بتعرضه لكثير من القضايا أبرزها : الوطن - اللغة - المكان ، و من النصوص الشعرية الجزائرية خاصة التي احتفت بقضية الوطن رائعة محمد العيد آل خليفة⁸ وهي النشيد الذي ظهر سنة 1946 ، ليكون أول صرخة للغضب الشعبي :

من جبالنا طلع صوت الأحرار *** ينادينا للاستقلال
يناديننا للاستقلال *** لاستقلال وطننا
تضحيتنا للوطن *** خير من الحياة
أضحى بحياتي *** و بمالي عليك

من خلال هذين البيتين تظهر رغبة الجزائريين في نيل الحرية ،فالتضحية في سبيل الوطن خير من الحياة ،ومن هنا تتجلى بوادر النزعة التحريرية في الشعر الجزائري قبل الثورة التحريرية.

أما الشعر الثوري المفعم بالوطنية أخذت فيه الألفاظ أبعادا جديدة في التوظيف فصارت محملة بشحنات الثورة وقاموسها ،ومن أمثلة ذلك ما قاله مفدي زكرياء⁹ واصفا

⁸ محمد العيد آل خليفة "حمو علي محمد العيد:" من مواليد 1904.08.28 م بعين البيضاء من عائلة دينية محافظة متصوفة ،اسهم في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و بعد اندلاع الثورة الكبرى اعتقلته السلطات الفرنسية ووضع تحت الإقامة الجبرية في بسكرة. كان يلقب ب: شاعر الشباب،شاعر الجزائر الحديثة،شاعر الشمال الإفريقي،... توفي عام 1979 م بباتنة و دفن في بسكرة.من آثاره:أنشودة الوليد،رواية بلال بن رباح(مسرحية شعرية)،ديوان محمد العيد.

⁹ مفدي زكرياء شاعر الثورة الجزائرية،ومؤلف النشيد الوطني الجزائري «قسما .»اسمه الشيخ زكرياء بن سليمان بن يحيى بن الشيخ سليمان بن الحاج عيسى،ولد يوم الجمعة 12 يونيو 1908 م، ببني يزقن،كانت له مشاركة فعالة في الحركة الأدبية و السياسية،ولما قامت الثورة انضم إليها فكان شاعر الثورة الذي يردد أناشيدها وعضواً في جبهة التحرير،مما جعل فرنسا تزج به في السجن مرات متتالية ثم فر منه سنة 1959،فأرسلته الجبهة خارج الحدود فجال في العالم العربي وعرف بالثورة.وافته المنية بتونس سنة 1977 ،ونقل جثمانه إلى مسقط رأسه فكان هو شاعر الثورة.

الشهيد أحمد زبانة¹⁰ وهو متجه للشهادة بالمقصلة (18 جويلية 1955) :

قام يختال كالمسيح وئيدا *** يتهادى نشوان، يتلو النشيدا

باسم الثغر كالملائك أو كالطفل *** يستقبل الصباح الجديدا

شامخاً أنفه، جلالاً وتيهياً *** رافعاً رأسه، يناجي الخلودا¹¹

من خلال هذه الأبيات تظهر قوة القاموس المستخدم، وكلها كلمات قوية النغمة مؤثرة

في المتلقي .

ومنه فالنص الشعري الوطني ذو القلب العمودي، لم يخرج عن خط التقليد سواء على

مستوى اللغة أو الإيقاع، إلا أن هذا لم يدم طويلا، لظهور الشعر الحر، ومما نسجله من

النصوص الحرة التي قيلت في فترة الثورة التحريرية، قول أبي القاسم سعد الله¹² حول سياسة

التعذيب التي مثلتها أشنع السجون، خاصة سجن "بربروس" أيقونة الدم المحفورة في الذاكرة

الجزائرية :

وهيهات يا ألف فُقلِ حديد

ويا ألف سوطٍ شديد

ويا ألف زنزانة مظلمة

سنتهار جدرانك القاتمة

وأقفالك المحكمة

كأمس البعيد

بأسلحة الظافرين

¹⁰أحمد زبانة اسمه الحقيقي أحمد زهانة، ولد سنة 1926 م، حكم عليه بالإعدام في 21 أبريل 1955 من المحكمة العسكرية بوهران، وتم تنفيذ الحكم في 19 يونيو 1956 .

¹¹ مفدي زكريا :اللهب المقدس، موفم للنشر، الجزائر، 2009، ص 17 .

¹²أبو القاسم سعد الله لقب بشيخ المؤرخين الجزائريين من مواليد 1930 م بضواحي قمار من ولاية الوادي، الجزائر، باحث ومؤرخ، حفظ القرآن الكريم، إضافة إلى اللغة العربية، أتقن اللغة الفرنسية، والإنجليزية، ودرس الفارسية والألمانية. توفي يوم 14 ديسمبر 2013 بالمستشفى العسكري حيث كان يتلقى العلاج، له العديد من المؤلفات منها : ديوان الزمن الأخضر 1985.

بأيدي غلاظ شداد
بأيدي الجموع الغضاب
تماماً كأمس البعيد
فأصبحت شيئاً من الذكريات
ستغدو من... الذكريات ... !¹³

الشاعر في هذه الأبيات يحكي لوحات مليئة بالصور ،حيث يؤكد إيمانه بانتصار الثورة غير مبال بما يسلطه الاستعمار الفرنسي من وسائل التعذيب و التنكيل في سجونهم و خاصة سجن بربروس ،فالثورة ستتخطى كل الأقفال و الأسوار و السجون ،و ستشرق شمس الحرية من جديد.

كما نجد لقضية المكان وجوداً معتبراً لعلاقته في النص الشعري الجزائري خاصة لعلاقته بإحدى المكونات الثقافية الأساسية وقد ارتبط المكان وانفتح على المقدس ،ومن أمثلة ذلك " إلياذة الجزائر "لمفدي زكرياء ،حيث أضفى على الأمكنة التي يعتبرها مصدر انتمائه و جذوره وعنصر كيانه ووجوده طابعاً روحياً باعتبار المكان فضاء من فضاءات الهوية حيث يقول :

جَزَائِرْ ، يَا مَطْلَعَ المعجزات *** وَيَا حَجَّةَ الله في الكائنات
وَيَا بِسْمَةَ الرَّبِّ في أرضه *** وَيَا وَجْهَهُ الضاحكَ القسمات
وَيَا لَوْحَةً في سجلِّ الخلود *** تَمُوجُ بِهَا الصُّورُ الحالمات
وَيَا قِصَّةً بَثَّ فيها الوجود *** مَعَانِي السُّمُوِّ بَرُوعِ الحَيَاةِ¹⁴

فهذه الأبيات الشعرية تنتج المقدس من خلال المكان ،فتثيره في خيال المتلقي لتجعل من المكان في حد ذاته معجزة (المعجزات . حجة الله . بسمة الرب ...)،فصورة الجزائر المعجزة تتشكل من جانبها الخفي الذي لا تدركه الأبصار،و بذلك تقدم القصيدة مشهداً شعرياً

¹³ أبو القاسم سعد الله:ديوان الزمن الأخضر،عالم المعرفة، ص 224.

¹⁴مفدي زكريا :إلياذة الجزائر ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر، 1987، ص 19.

لمكان خفي يتجلى من خلال تأمل المكان الواقعي لتتحول الصورة الشعرية في ذاتها مكانا جديدا ومقدسا يكشف أسراره بوحى التأملات .

أما اللغة التي تميزت بها النصوص الشعرية المغاربية خاصة في العصر الحديث و المعاصر احتلت مكانة متميزة ،حيث لم يعد الشعر أدبا بالمعنى المصطلح عليه ،وإنما أصبح تساؤلا حول جوهر الإنسان و الوجود ورغبة في تغيير صورة العالم ، إنه باختصار إعادة صياغة للإنسان ووجوده ،وفي هذا المجال تستوقفنا أسماء كثيرة منها : " محمد الخالدي"¹⁵الذي يعد واحدا من أهم الأصوات الشعرية المغاربية ،و أكثرها تفردا خاصة على صعيد اللغة ،حيث جعلها وطنا بديلا بعد الاحباط الذي أصاب الأمة العربية حيث يقول :

مددٌ .. مددٌ .. مددٌ

لغة ما فك مغالقتها أحدُ

وسماءٌ لم يرق مراقبها أحدُ

وطواف ما بين الأرض

وبين سماء رفعت

لم يدر به أحدُ

مددٌ .. مددٌ .. مددٌ

أبدٌ من نور

و تخومٌ شاسعة

ما طاف بها أحدُ¹⁶

كما يمكن لهذه اللغة أن تعجز أحيانا عن استيعاب رؤيا الشاعر حيث يقول :

¹⁵محمد الخالدي شاعر وروائي ومترجم تونسي معاصر ،ولد سنة 1948 بمدينة المتلوي بتونس، له اهتمام بالتصوف الإسلامي والديانات الشرقية كالبودية والهندوسية والطاوية، ترجم ديوانه "المرائي والمراقبي" إلى الإيطالية.. من مجموعاته الشعرية نذكر "وطن الشاعر" و"من يدل الغريب".

¹⁶محمد الخالدي :المرائي و المراقبي ،الأطلسية للنشر،تونس ،1997، ص ص 118 ،119.

لغتي تضيق

ماذا لو اتسعت حروف الأبجدية

فأقول معراجي و رؤياي النبوية

ماذا لو اتسعت فيهدأ في دمي هذا الحريق

أتوسل اللغة العصية تنثي¹⁷

كما نجد الشاعر "محمد علي الرباوي"¹⁸ قد نحى باللغة منحى صوفيا و ذلك من خلال

رفض الواقع الخارجي واستلهم عالم الباطن بوصفه قوة خفية قادرة على إدراك الحقيقة

الكامنة خلف مظاهر الأشياء ، حيث يقول :

أيتها النفس أخرجي من زبد البحر ،أركبي متن حصان

بجناحين ،ارجعي راضية مرضية ثم ادخلي دائرة

العشق ،أتبعيني فإنني آنست نارا ،علنا منها سنأتي

بشهاب قبس ،أو علنا نلقى على النار هدى هيا

اتبعيني و استعدي ،ربما حبك مولاك ،استعدي هو إن

حبك قد يلقي على قلبك قولا ثقيل¹⁹

فالتجربة الصوفية تجربة لغوية متميزة ،لا ترضى بما هو تقليدي أبدا،و تسعى فقط إلى

الوصول إلى جوهر الباطن.

هذه إذن أهم القضايا التي تعلقت بإشكالية الهوية الإبداع في الشعر المغربي الحديث

و المعاصر،من خلال التطرق للغة و المكان واللغة .

¹⁷ محمد الخالدي :المرائي و المراقي ،ص 40.

¹⁸ محمد علي الرباوي، ولد سنة 1949 بقصر أسير، بتجداد، الراشيدية، شاعر مغربي، عمل أستاذا مساعدا بكلية الآداب بجامعة محمد الأول بوجدة.لديه الكثير من الأعمال الشعرية منها :البريد يصل غدا ،الكهف والظل ،الولد المر أطباق جهنم.....

¹⁹ محمد علي الرباوي:الولد المر،منشورات المشكاة ،وجدة ،المغرب ،1989، ص 39.

الأعمال الموجهة

تجلى حب الوطن عند كثير من الشعراء ،نذكر منهم أبو القاسم سعد الله الذي تغنى بحبه لوطنه الجزائر ،و الذي قال فيه:

أقسمت بالدم والسعير

أقسمت بالروح المقدس والعبير

وبشعري الشعث الضفير

أقسمت بالجبل الأشم

أقسمت بالحنن الشواهدق والقباب

. وبكل نجم سامر .

. وبكل ليل دامس .

. وبكل فجر غامر .

. وبكل يوم عابس .

. وبكل وشم أخضر .

. وبكل مسجد أحمر .

. وستعرفون .

. يا غاصبين .

. من هي قاهرة الرجال .

. من هي معجزة الخيال

. من هي سيدة الشمال .

. من هي كاهنة الجبال .

. وستعرفون .

. يا غاصبين .

كيف الصراع الصاخب .

كيف العذاب الواصب .

كيف القتال الحاطب

كيف الوجود اللاهب²⁰.

يصبو أبو القاسم سعد الله في هذه الأبيات إلى مواجهة الظلم والجهل، و سعيه نحو

و صباح جديد وفجر جديد يعطيه الحياة والأمل.

من نماذجه الشعرية التي تغنت بالمكان، نذكر:

"أوراس" والدماء والعرق
وصفحة السماء والغسق
والأفق المحموم راعف حنق
كأنه وجودي القلق
قد ظمئتُ عيونه إلى الفلق
وسال من أطرافه دم الشفق
ونجمة من الشمال تحترق
كقلبي الذي يدُقّ
و"الأطلس" الأنوفُ والبطاح
محمرة الخدود بالجراح
وغابة البلوط كالأشباح
تُرْقِصها عواصف الرياح
ثائرة مهتاجة الكفاح
والنهر والنجوم والسمر
والضفة الخرساء والصخر
منتثرٌ... وزائر القمر

²⁰ أبو القاسم سعد الله: الزمن الأخضر، ص 133.

يُطلُّ في حذر²¹

أما اللغة فنجدها قد اصطبغت بصبغة صوفية أخرجتها من المعقول إلى اللامعقول ، و قد تجلى ذلك عند كثير من الشعراء نذكر منهم حسن الأمراني²² ،حيث يقول:

لا أقسم بالنعس المسجونة في الجسد المرشوق

و لا أسمُ بالغدر و هذا البلد المشنوق

لقد كبرت في القلب شجيرات الحزن

و عذبني الطين

و أنا أحمل أوزاري

و أمدّ الطرف إلى أنوارك

أدخلني مُدخل صدق يا الله

و أخرجني مخرج صدق²³

فالشاعر هنا يسمو بالنعس إلى يبابيع النور أين الفيض الإلهي ، و الفناء في الوجود الحق ، و الاتحاد بالحقيقة الأزلية ، و هي الوسيلة التي يعتمدها الشاعر للانتقال من العالم المقيد إلى العالم المطلق.

²¹ أبو القاسم سعد الله : الزمن الأخضر ،ص ص 195 ،196.

²² حسن الأمراني ،شاعر مغربي معاصر ،ولد بوجدة ،المغرب سنة1949.

²³ حسن الأمراني :الزمان الجديد ،دار الأمان للنشر و التوزيع ،الرباط ،1988، ص ص 17 ،18.

المحاضرة الثامنة

الإيقاع في الشعر المغربي

1 - الإيقاع في القصيدة العمودية :

اتبعت القصيدة التقليدية المغربية مثيلتها المشرقية في الجانب الإيقاعي ،حيث خضعت للوزن و القافية بشكل كبير جدا ،فانطلق الشعراء بشكل كبير جدا من البيت ليُظهروا الوزن و القافية ،الذين لم يعرفا مع الأيحاء غير التكرار و استحضار الماضي بأوزانه و أضربه المختلفة ،و مثال اعتماد قواعد عمود الشعر ما نقرؤه لمحمد العيد آل خليفة (نظمها 1937) :

العلم سلطان الوجود فسد به***من شئت أو ذد عن حياضك وادفع

0//0/ 0/0//0/0/0/ /0/0/ 0/0///0//0/0/0//0/0/

متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن

والجأ له بدل الحصون فلا أرى***حصنا كمدرسة سمت أو مصنع

0//0/0/0//0///0//0/0/ 0//0///0//0///0//0/0/

متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن²⁴

يظهر جليا أن الشاعر وظف وزن بحر الكامل الذي تفعيلاته تقوم على تفعيلة متفاعلن المكررة ستة مرات في البيت الواحد ،ومن هنا نلاحظ مدى التزام الشاعر بالوزن ،حتى إنه اكتفى بزحاف واحد فقط وهو الخبن في متفاعلن ،والقافية التي أتت واحدة في كلا البيتين و حتى الأبيات اللاحقة و هي :مصنعن(0//0/)،مع توحيد حرف الروي ،و هو حرف الراء .

²⁴ محمد العيد آل خليفة :الديوان ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،مطبعة البعث،قسنطينة،الجزائر، ط 1، 1967، ص

ومن خلال متابعة النص التقليدي و المحافظ نجد العديد من النماذج التي حافظت على الوزن والقافية ومختلف شروط عمود الشعر مما يعزز دور الماضي الشعري في رسم ملامح إيقاع النص التقليدي الجزائري .

2- الإيقاع في القصيدة الحرة (شعر التفعيلة) :

ظهر خلال فترة الثورة التحريرية نمط شعري جديد ،وهو الشعر الحر أراد من خلاله الشعراء مواكبة التطور الشعري العربي المعاصر ،و كانت أولى النصوص للشاعر الجزائري " أبو القاسم سعد الله " بقصيدة " طريقي " ويقول في مطلعها :

يا رفيقي

0/0//0/

فاعلاتن

لا تلمني عن مروقي

0/0//0/0/0//0/

فاعلاتن فاعلاتن

فقد اخترت طريقي

0/0///0/0///

فاعلاتن فاعلاتن²⁵

فعلى المستوى الإيقاعي نلاحظ بعد التقطيع ،أن النص مبني على تفعيلة (فاعلاتن) وهي تفعيلة بحر الرمل ،و هو بحر مرن يستوعب الأوجاع والآلام التي شحنه الشاعر به وقد توزعت تفعيلاته بشكل متباين عبر الأسطر ،مما ولد الشكل الشعري الذي قدم تشكيلا هندسيا مختلفا عن النص الشعري التناظري .

²⁵ أبو القاسم سعد الله :ديوان الزمن الأخضر،ص 137.

وقد توات النصوص بعد سعد الله مجربة الشكل الجديد فكتب " محمد الصالح باوية " و " أبو القاسم خمار" وغيرهما كثيرا من القصائد أخذت في معظمها طابع الثورة ،ومن نماذج هذه النصوص نذكر ما كتبه محمد الصالح باوية في قصيدة "ساعة الصفر":

جيل عربي...

صوب الإفناء للطاغي ...و سد

الصدور العري...

تطري سرّ خلقي

سرّ إبداعي ...و آمالي الطليقة²⁶

و قد جاءت هذه الأبيات أيضا على وزن بحر الرمل ،إلا أنتت تفعيلاته أنتت متباينة من سطر لآخر.

من خلال هذه النماذج الشعرية ، نجد لا نرى في قصيدة التفعيلة خلافا لما جاء في القصيدة العمودية من حيث الوزن ،حيث أن القصيدة في الشعر الحر نابعة من مضاربة في عدد من البحور الشعرية الفراهيدية ،و هي سبعة بحور أو ثمانية،و نسميها بالبحور الصافية لصفاء تفعيلاتها ،و لتكونها من تفعيلة واحدة قابلة للتكرار ،مع سماحة أوسع في العلل الوزنية.

فالإيقاع الشعري الموجود في القصيدة العمودية موجود في قصيدة التفعيلة إلا أن الاختلاف يكمن في القافية وحرف الروي ،الذان يكونان موحين في جل أبيات القصيدة العمودية ،في حين يكونان في قصيدة التفعيلة مختلفين باختلاف نهايتها و حسب مزاجية الشاعر.

²⁶ محمد الصالح باوية :ديوان أغنيات نضالية ،موفم للنشر ،ط 1، ص 50.

3- الإيقاع في قصيدة النثر :

قصيدة النثر هي ذلك الشكل الفني الذي يسعى إلى التخلص من قيود نظام العروض في الشعر العربي و التحرر من الالتزام بالقواعد الموروثة من القصائد التقليدية ،لذا تكون الحرية المطلقة للشاعر في انتقاء الكلمات و العبارات المتجانسة لقصيدته .

و الإيقاع في قصيدة النثر قد يعتمد على البنية الصوتية للحروف كما في قصيدة الوزن،و لكن ليس بترتيب الأوزان العروضية ،و إنما من خلال مبادئ خاصة بها،من أهمها التكرار المقطعي في ترتيبية صوتية معينة ضمن المقطع الشعري أو التكرار اللفظي لبعض الكلمات تلك التي يريد الشاعر إعطاءها أهمية في نصه .

ومن الشاعرات الجزائريات اللواتي كتبن قصيدة النثر " شهرزاد بن يونس " حيث

تقول :

قلتها ورحلت

قلت أنك ألف مرة قد أحببت

جسدا

شفتين ذابلتين وأقسمت...

صدقته أنك تخون الجميع

وغير عيني ما أحببت

قافيتنا في الوحل تمضي

غيبية أنا - قلتها وكذبت-

أو تدري ... ؟

لأنني امرأة تؤمن بالحب

بعفة وشرف

لولاهما ما كنت خالدة

لست أهائك رجالا...

من شمع يذوبون

على وقع الخطي يذودون

سئمت...

تحبني شريفة تمسكت²⁷

عند قراءة هذا المقطع تستشعر إيقاعا داخليا متعددًا يفرضه ضمير الرفع المتحرك
ضمير الفاعل في قلت ،المسند للفعل قال،و الملاحظ أنه يتكرر على امتداد النص مما
يجعله قطب الحركة التي تدفع العناصر النصية الأخرى.هذا بالنسبة لإيقاع الكلمة أما إيقاع
الجملة فيتجلى أكثر في هذا المقطع الشعري لعدالة عساسة ،حيث تقول :

للبحر صمته

و لقلبي صوته

و النار للأصابع

التي نسيت حسها

فقدت وعيها

الأحاجي التي تقاوم الموت

و الأماكن الموحشة

موزعة في فمي...في دمي... في المدى

عندما كان يقسم بالحب

بالمح الذي سوف نأكله

بالغرفة التي سوف تجمعنا

يعدني أنه سيغلق بابها...أجفانها...أذنانها

يفتح بحره...قلبه... نبضه على النافذة

يقسم بالذي

لم يكن كان بيننا

كانت الساعة العاشرة²⁸

عند قراءة هذا المقطع نلاحظ ذلك الإيقاع المرتسم من خلال التقديم والتأخير الذي
تصدر به المقطع ،و خلال البنى التركيبية و الدلالية و الصرفية ،المتكررة التي توحى بذلك
الدفق الشعوري الذي تحسه الشاعرة.

²⁷ شهرزاد بن يونس:و البحر أيضا يغرق أحيانا ،منشورات أمواج ،الجزائر، ط 1، 2005،ص ص 22 ،23.

²⁸ عدالة عساسة :يوم إضافي للقيامه،منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين،الجزائر،2009،ص 142-144.

